نبذات من عظات

لا تضطرب قلوبكم

٢٥

القمص يوسف أسعد

نبذات من عظات

٢٥

لا تضطرب قلوبكم

القمص يوسف أسعد

[illegible] أسعد

١٩٥٥

لا تضطرب قلوبكم

ما أحلى قول الرب أن لا تضطرب قلوب أولاده وتابعيه.. الذين يعيشون بالحب شهود وشهداء، يطمئنهم الرب أن لا تضطرب قلوبهم، لأن طبيعة الوجود فى غربة هذه الحياة تحتمل **أنواع كثيرة من الإضطراب**:

إضطرابات طبيعية:

هناك إضطرابات طبيعية نجدها فى الشمس والقمر والرياح والأمواج، فقد نجد هذه الطبيعة المنظمة جداً يمر بها إضطراباً، وتكون النتيجة كوارث، فمثلاً حينما يحدث إضطراباً فى الشمس تتأثر به بقع كثيرة من الأرض، وحينما نسمع عن إضطراب فى الرياح فنسمع عن أعاصير تودى بمدن كاملة فى لحظات.

إضطرابات جسدية:

وهناك إضطرابات فى الجسد سواء كانت عضوية أو نفسية،

فالجسد مع أنه عالم مصغّر منضبط بنظام إلهى.. إلا أنه قد يُعرض للإصابة فى أحد الأعضاء مهما كان صغيراً فيضطرب معه الجسد كله، فربما إضطراب فى ضافر فى إصبع يسبب قطع الرجل كلها لأنه قد يسبب إضطراب فى نظام الجسد الذى يعرفه الأطباء بصورة علمية.

أما الإضطرابات النفسية فهى أمور واردة، فنحن لسنا فولازيين أو جوامد، إنما نحن عناصر رقيقة تتأثر، وتأثرها قد يقود إلى تعب نفسى.

نحميا النبى حينما دخل إلى الملك لم يكن به إضطراب فى الجسد، ولكن نفسه كانت منكسرة من أجل خراب مدينة آبائه وهدم سورها، فظهر ذلك على ملامح وجهه حتى أن الملك قال له: «لِمَاذَا وَجْهُكَ مُكْمَدٌّ وَأَنْتَ غَيْرُ مَرِيضٍ. مَا هذَا إِلاَّ كَآبَةَ قَلْبٍ» (نح ٢ : ٢).

فالإضطرابات النفسية نعرف أثرها على شهية الإنسان وبصر الإنسان وعلى حركة اليد والرجل واللسان.

والإضطربات التى يمر بها أولاد الله القديسون جسدياً حملها

ربنا يسوع له المجد وهو يرى خطية الإنسان التي تطالبه بوفاء العدل الإلهى كاملاً، فسمعناه يقول: «نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ» (مت ٢٦ : ٣٨) ورأيناه فى البستان يتصبب منه العرق كقطرات دم.

إضطرابات المنافع:

وهى موجودة عبر التاريخ، فكان **لرؤساء الكهنة والكهنة أيام السيد المسيح** منفعة واضحة صريحة سببت فى أن يهيجون الشعب عليه، وكان ذلك بسبب تعلق الناس به حتى أنهم قالوا: «إِنَّكُمْ لاَ تَنْفَعُونَ شَيْئًا. هُوَذَا الْعَالَمُ قَدْ ذَهَبَ وَرَاءَهُ» (يو ١٢ : ١٩).

وأيضاً أيام بولس الرسول كان هناك صناع للتماثيل من فضة أو ذهب وهى آلهة عند أصحابها، فعندما بشر مار بولس كانت هذه البشارة تعنى أنه يوجد إله غير مرئى وإستغناء عن هذه التماثيل وبالتالى تتوقف منافع الصناع من صنعها، فأهاجوا مدينة بأسرها على بولس لأنهم شعروا أنه يضيع منفعتهم.

أما الإضطرابات فى كنيسة الرسل فقد رأيناها بين الرسل أنفسهم، فعندما خرج مار بولس ومار برنابا من أورشليم فى رحلة كرازية واتجهوا إلى قبرص، وكان برنابا يصطحب ابن أخته أبونا

القديس مرقس الرسول، وقد كان شاباً صغيراً متعلقاً بأمه، فإذ رأى أهوال السفر فى البحر غير المؤَمنَّة آنذاك فكر أن يرجع إلى أورشليم حيث أمه، لذلك افترق بولس وبرنابا بسبب إضطراب عاطفى مر به مرافق من مرافقى برنابا ، ولم نسمع عن برنابا مرة أخرى فى رحلات مار بولس.

أما قضية الغرلة والختان فقد أثارت جدلاً وإضطراباً فى كنيسة الرسل لأن اليهود كانوا يقولون أن المسيحى لكى يعمد لابد أن يختتن أولاً، بينما الختان كان عهد يهودى قنن فى الناموس اليهودى، وهنا رأى مار بولس أنه لا علاقة بقطعة لحم فى جسد الذكر بالإيمان، وبدأ الإضطراب بين مؤيدين ومعارضين.

لكن لأنها كنيسة قديسين كان الرأى الواضح السليم الإيمانى لمار بولس ـ والذى عارضه فيه بطرس الرسول أكبر الرسل سناً ـ قد صدر به قرار واضح من مجمع أورشليم أن لا يثقل على الداخلين إلى الإيمان، ولم يكن ذلك إنتصار لبولس فى إضطراب فكرى.. إنما تقنين مسيحى لفكر الإنجيل المعاش المسلم للقديسين.

أما اليهود اليونانيين فكانت لهم أرامل اشتكى بعضهن أن هناك

تمييزاً فى المعاملة بين أرامل المسيحيين من أصل يهودى وأرامل المسيحيين من أصل يونانى، وكان هذا سبب وجعاً عظيماً فى الكنيسة.

ولكن لأنها كنيسة رسل ولأن الرسل قد حددوا بوضوح عملهم وأنه لا يليق أن يتركوا خدمة الصلاة والكلمة ويتفرغوا لخدمة الموائد، فانتخبوا سبعة شمامسة بعد أن صاموا وصلوا.

ومن هنا ظهرت لأول مرة فى كنيسة المسيح خدمة الشماسية التى كان نجمها الأول إسطفانوس أول الشمامسة وأول الشهداء، وكانت أول قرعة فى كنيسة ديمقراطية تضع بروح الله حداً لإضطراب.

وإذا إقتحمتم تاريخ الكنيسة وتأكدتم من عمل الله عبر العصور تجدون أن الإضطراب أمر محتمل فى أى لحظة.

كيف نواجه الإضطراب:

لا تظنوا أنى سأقدم لحضراتكم وصفة، ولكنى سأقدم كلمة الرب نفسه، فعندما يضطرب الهواء أمامى وأجد أن الموج عالى.. **أبحث عن المسيح، فسوف أجده فى آخر السفينة على وسادة**

نائماً، فحينئذ سأنام أنا أيضاً بجواره، فإذا كان هو قد أغمض عينيه فهل سأفتحها أنا؟!.

فمن يفتح عينيه وقت التراب فسوف تمتلأ عينيه بالتراب ويفقد بصيرته ويتساءل عن الصواب والخطأ، ويكون مُتعَب ومُتعِب.

الإيمـــان:

وعندما يهيج الإضطراب ونجد أن المسيح قد نام، فنحن نام أيضاً بجواره. نغمض أعيننا، لأنه قال لنا «لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ. أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ» (يو ١٤ : ١) **فأنتم تؤمنون بالذى يستطيع أن يضبط كل شئ** ويستخدم كل شئ ويجعل لكل شئ حده فى الوقت المناسب.

الصـــلاة:

لذلك عندما ننام بجواره فهذا يعنى أننا نؤمن به لأن **النوم يعنى بالنسبة لنا أن نغمض أعيننا لنصلى.**

والصلاة ليست تفريغ نفسى كما يظن بعض الأطباء، إنما الصلاة هى أعظم عمل من أعمال الحب تعيشه مع الحب الذى فى قمة آلام الصليب ومجده كان فى البستان وحده على رمية حجر

يصلي ويناجي ويعلمني كيف أقول حينما أجد الصليب واضحاً: «لِتَكُنْ لاَ إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ» (لو ٢٢ : ٤٢).

وهنا نتعلم أننا فى الإيمان نصلى، وأيضاً نقرأ الكتاب لتغمض عيوننا عن فلسفات الناس وآراء الناس، وتفتح على كلمة ربنا.

التواجـد فى بيت أبـى:

الإيمان بالنسبة لى هو بالتواجد فى بيت أبى أى فى الكنيسة، وهو قد قال لنا: «فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ» (يو ١٤ : ٢) فالسيدة العذراء لها منزلة كبيرة حتى أنها عندما وجدت إضطراب فى عرس قانا الجليل أنه قد فرغ الخمر، فرفعت حاجتهم أمام ابنها دون أن يطلب منها أحد.

لذلك فى بيت أبى أمر على العذراء ومار جرجس ومار مرقس وجميع القديسين الذين أكرموا الله فأكرمهم الله.

ففى وقت الإضطراب أكون محتاجاً لمن يذكرنى بمنزلتى عنده.. حقاً إننى خاطئ شرير ولكن لى عنده منزلة تساوى دمه الغـالى، ولذلك أدخل الكنيسة بخطيتى وتعبى وكل ألمى وأثق أن

منزلتى أمامه وأنا خاطئ تخرجنى مبرراً أكثر من الفريسى الذى ظن فى نفسه أنه بار وأنه كامل.

ولست أقصد بالنوم جنبه أن لا نعمل، فسيدنا كان فى القبر نائماً لكن لاهوته لم يفارق ناسوته، وكان فى الهاوية يعطى كرامة للذين عاشوا فى الإيمان وماتوا قبله.

لذلك نحن دائماً نتذكر أن إيماننا هو دائماً بالله، وإيماننا بالله قادر أن يهزم العالم.

فعندما نجد إضطراب فى الجسد أو إضطراب فى المنافع فى وسط العمل من الزملاء، أو حتى إضطراب فى الكنيسة، فحينئذ نتذكر أننا نؤمن بالله، وأن **الإضطراب يظهر إيماننا، وسننام جنبه أى نصلى ونقرأ فى الكتاب المقدس، ويكون لنا فى بيته عشرة دائمة مع القديسين المنتصرين والمجاهدين معاً.**

أيضاً الإيمان الحقيقى فى أى إضطراب يظهر فى كيفية محبتنا بعضنا لبعض.

فالمحبة الحقيقية الإنجيلية شهادة وختم على أننا تلاميذ المصلوب الذى كل من يتبعه لابد أن يصلب من العالم عن العالم أيضاً،

كقول مار بولس الرسول: «الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ» (غلا ٦: ١٤).

من أجل ذلك الإيمان وقت الإضطراب ليس فلسفة ولا غيبية إنما هو موضوع إمتحان.

فالمريض لا يخطأ عندما يلجأ للطبيب، فهناك وقت للنجح على يد الأطباء فى دواء كل داء كقول الكتاب المقدس.

لكن هناك من يعيشون بالإيمان فيؤمنون بالذى يستطيع أن يقيم من الأموات، فإذا لم يجدوا الدواء فهم يعرفون أن هناك مصدر كل شفاء حتى إن إختفى الدواء، وإن حدث غلاء فنفوسهم لا تضطرب لأن هناك مصدر كل رخاء مسئول عن كل ذى جسد.

هناك طفلة تركها أبواها عند جدتها، إرتفعت درجة حرارتها ولم يكن عند الجدة دواء ولا تستطيع أن تخرج أو تتصرف، فكان تصرفها أنها أخذت الطفلة ووضعتها أمام صورة العذراء وقالت لها: لقد تركوا لى أمانة، وأنا لا أعرف ماذا أفعل، والطفلة تموت، لكنى أضعها فى حضنك لكى تُشفَى ببركتك، وجلست هى لتقرأ فى الكتاب المقدس، وعندما عادت والدتها قالت لها: إن حرارة ابنتك

فوق الأربعين وخذيها من أمام صورة العذراء، وعندما دخلت الأم وجدت الطفلة نائمة فى هدوء، ثم قامت بإبتسامة لا تنسى، فقد شفيت من أجل إيمان جدتها فى وقت الإضطراب، فالإيمان ليس كلام إنما هو ممارسة تمنح السلام.

الهـــدوء:

الإيمان يحتاج منا إلى الهدوء، على رأى الكتاب المقدس عندما قال: «الْهُدُوءُ يُسَكِّنُ خَطَايَا عَظِيمَةً» (جا ١٠ : ٤).

قد يحدث فى بيوتنا أن يرحل أحد أفرادها إلى السماء، هناك من يصرخ ويلطم ويبكى، وهناك آخرين مؤمنين أولاد لله يعرفون أن كل منا مسافر لا محال، فيفكرون بهدوء.

هناك أم إتصلت بى الساعة الحادية عشر مساءاً تقول لى: عايزاك ياأبونا دلوقتى، فعندما ذهبت وجدت كل شئ فى هدوء طبيعى، وإستقبلتنى الأم وبناتها فى هدوء، ولما سألتها عما حدث قالت لى أن زوجها قد سافر إلى السماء، وأنها قد جهزت الأجابى وكتب الترانيم ليسهرون فى ليلة صلاة ويطلبون أن أصلى معهم، وكانوا قد أحاطوه بالورود، فأصبح المنظر كأنهم يقولون له مع السلامة فى

المطار، فلا أنسى هذه الليلة لأنى وجدت أمامى إيمان حى يقابل المفاجأة بهدوء.

والهدوء يساعد على التفكير السليم، ويساعد على الكلام المضبوط، والتصرف السليم.

عدم الإدانة:

لكن أحياناً المواقف تضغط على الإنسان فلا يستطيع أن يعيش الهدوء، فهؤلاء لا نحتقرهم ولا ندينهم، إنما نساعدهم أو نعطيهم كلمة تعزية.

فلو عشت الهدوء ستعرف قيمته، لكن لو لم تجده فى غيرك فلا تدينه، فهناك إختلاف فى القامات، وهناك جسم الشاب الذى يستطيع أن يحتمل الضغط بهدوء، أو الرجل الذى إعتاد أن يكون هادئاً فى المفاجآت، لكن ربما يكون هناك شاب عصبى أو عنده ضغوط تجعله يغضب من أى موقف، فهذا لا ندينه.

وقد قال لنا الآباء: لا تدن الزانى أيها العفيف لأن الذى قال لا تزن قال أيضاً لا تدن.

العقـل المسـتنير:

إن الهدف من الهدوء مع الإضطرابات هو إستخدام **العـقل المسـتنيـر بالإنجـيل، ذلك الذى يحـمل الإنسـان من ظلام الفكر وظلام الموقف إلى الإله الذى يضئ الفكر وينير الظلمة.**

هناك خلافات تستمر لسنوات كثيرة، أقول لهم: كل ما قيل فى وقت الغضب مكانه صفيحة الزبالة، وما خرج فى وقت الإنفعال لا ندين عنه، فهذه هى إستضاءة الفكر.

وسيدنا نفسه مع المرأة التى أمسكت فى ذات الفعل لم يدينها، إنما إنحنى على الأرض وكتب: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلاً بِحَجَرٍ» (يو ٨ : ٧) فذكرهم بأن خطيتهم أعظم منها حتى لو كانت مستترة.

التسـامح:

الإستنارة بالإنجيل تجعل التسامح ـ لا التساهل ـ فكر مطلوب فى كل إضطراب.

إذا أتعبتنى معدتى فأنا أحايلها وأعالجها إلى أن تنصلح، وبعد

ذلك سوف لا يحدث أنى أخرجها خارجاً وأمسك بها وأضربها لأنها أتعبتى، ولكنى سأظل أتجنب كل ما يتعبها، وسوف أتسامح مع معدتى، لذلك فالفكر المستنير يطالبنى أن أتسامح.

بين التسامح والثقة:

لا علاقة بالتسامح مع الثقة، فسوف لا أثق بمعدتى مرة أخرى، وسوف أرفض كل طعام يتعبها، فهكذا التسامح لا علاقة له بالثقة.

وضوح الحق:

فى الفكر المستنير الهادئ لابد أن يكون الحق.. كل الحق واضحاً فى أى إضطراب.

الدكتور الأمين هو الذى يقول لك الحق، والتوضيح لا علاقة له بالتجريح، فالحق يوضح لا يجرح.

والحق معه التقدير لا التشهير، فأنا لا أفضح معدتى أمام الآخرين وإنما أقدرها لأنها كثيراً ما حملتنى، ولكن الحق يقول أنى لا آكل ما يتعبها مرة أخرى، ولو نصحنى آخر بدواء لها فسوف لا أسمع إلا لكلام الطبيب المختص وأكون حذراً.

لذلك البعد عن التلوث السمعى أو الفكرى أو الإشاعات فى وقت الإضطرابات هو جزء من سلامة العقل المستنير.

والإشاعات فى وقت الإضطرابات كثيرة جداً، تذكرنى دائماً بكلمة قالها تشرشل: إن الحقيقة غالية لذلك تتوه وسط الأكاذيب، لذلك فمهما كانت الأكاذيب والإشاعات بلا حدود فسأظل أنا واعٍ لنفسى.

فى وقت الإضطراب عندى إيمان، نائم جنبه، بفكر مستنير بالإنجيل، فلا يمكن أن أسمح لذهنى بالتلوث، وهذا مع كون قلبى ممتلئ بالمحبة للجميع، محبة سيدى الذى طعن على الصليب لكنه غفر لصالبيه.

الرضـــا:

لذلك ياأحبائى نشعر أن الفكر المستنير يعطينى مع الإضطرابات نعمة الرضا، **والرضا يعطى للإنسان سلامة لنفسه وقت الإضطراب.**

فهناك من يخسرون أجسادهم وقت الإضطراب، فالجسد يمكن أن يخون، وهذه العمارة المضيئة التى هى جسدك تنطفئ.

لكن من يعيش بالفكر المستنير لا يدين ولا يشهر، يتسامح.. إنما فى حدود لا تتعدى مفهوم الثقة، ويعطى الحق بأسلوب التوضيح لا التجريح، والتقدير لا التشهير.

هذا الإنسان تجدونه فى النهاية يعيش الرضا، وما أعظم إنسان يباركه الرب بنعمة الرضا وقت الإضطراب.

يا أحبائى إن الرضا لا يعنى رضا بظلم أو رضا بخطأ، إنما رضا بالله الذى يدافع ويقاتل عن أولاده، والذى يستطيع كل شئ ولا يعثر عليه شئ البتة.

اطمئنوا واهدأوا وعيشوا فى سلام روحى حقيقى، وامتلئوا من الإيمان الذى يستطيع أن ينقل الجبال.

ناموا بجوار الرب.. أى لا تكلوا إنما صلوا وصوموا بنقاء، اقرأوا الإنجيل بتركيز، عيشوا فى بيت الآب الذى لا نستحق أن نكون عبيداً فيه.. فرفعنا إلى رتبة الأحباء والأبناء.

اهتموا جداً بهدوئكم.. فقد قال الكتاب: «بِالرُّجُوعِ وَالسُّكُونِ تَخْلُصُونَ. بِالْهُدُوءِ وَالطُّمأْنِينَةِ تَكُونُ قُوَّتُكُمْ» (إش ٣٠: ١٥).

عظة بإجتماع الشباب الجامعى والموظفين بكنيسة السيدة العذراء بالعمرانية
مساء الخميس ١٩٩١/٢/٢١

عندما يضطرب الهواء أمامى وأجد أن الموج عالى.. أبحث عن المسيح، فسوف أجده فى آخر السفينة على وسادة نائماً، فحينئذ سأنام أنا أيضاً بجواره، فإذا كان هو قد أغمض عينيه فهل سأفتحها أنا؟! فمن يفتح عينيه وقت التراب فسوف تمتلأ عينيه بالتراب ويفقد بصيرته ويتساءل عن الصواب والخطأ، ويكون متعب ومتعب.